تجنب النماذج الانهزامية
(التى تأتى بعكس المراد)

obeikandl.com

obeikandl.com

بعض النماذج المتعلّقة بالأطفال كثيراً ما تكون انهزامية ، وليست فقط فاشلة فى إحراز أهدافنا بعيدة المدى ، بل غالباً ما تخلق مشاكل فى البيت ومصائب هنا وهناك . وتتضمن النماذج الانهزامية التهديدات ، والرشوة ، والوعود ، والسخرية ، والمواعظ الفجة عن الكذب والسرقة ، وتعليم الأدب بشكل فظ بذىء .

التهديدات :

دعوة لسوء السلوك :

التهديدات بالنسبة للأطفال هى دعوة لتكرار فعل ممنوع . عندما نقول للطفل :

ـ افعل هذا مرة أخرى . . وسوف ترى .

إنه لا يسمع «سوف ترى» ، ويسمع فقط :

ـ افعل هذا مرة أخرى .

وأحياناً يفسّرها :

ـ ماما تتوقع أن أفعل هذا مرة أخرى ، وإلاّ فسيخيب ظنها .

قد تبدو مثل هذه التحذيرات ، للكبار ، أمراً معقولاً ، وهى فى واقع الأمر سيئة أكثر منها مفيدة . وليكونوا على يقين من أن الفعل المذموم سيتكرر . فالتحذير ماهو إلاّ تحد لاستقلال الطفل الذاتى . وإذا كان لديه أى احترام ذاتى فلابد أن يخالف التحذير مرة أخرى ؛ ليظهر لنفسه وللآخرين أنه ليس جباناً .

شوقى (خمس سنوات) ، ظل يرمى بالكرة على النافذة رغم كل التحذيرات . فقالت أمه أخيراً :

ـ إذا رميت الكرة على النافذة مرة أخرى ، فسوف أضربك ضرباً مبرحاً ، هذا وعيد .

ولم تمض دقيقة واحدة إلاّ ومشهد تحطيم زجاج النافذة يقول إن تحذيرها كان له تأثيره : فالكرة قد خبطت الزجاج للمرة الأخيرة . ويمكن تصوّر المنظر الذى أعقب التهديدات والوعود وسوء التصرف بسهولة .

وعلى النقيض نرى الحادث التالى يصور التناول المثمر لسوء السلوك بدون اللجوء إلى التهديدات :

وائل (سبع سنوات) يصوب بندقيته على أخيه الرضيع . فقالت له أمه :

ـ ليس على الرضيع . صوّب على لوحة تعلم الرمى . فيصوب وائل على الرضيع ثانية . فتأخذ الأم البندقية وتبعدها ، وتقول لوائل :

ـ ليس الناس هدفاً للتصويب عليهم .

لقد فعلت الأم ما يجب عمله لحماية الرضيع ، وفى نفس الوقت دعّمت معايير السلوك المقبولة . وتعلّم وائل عواقب أفعاله بدون أى إضرار لذاتيته . وكانت البدائل المعروضة واضحة : إما التصويب على لوحة تعلم الرمى أو فقدان ميزة تملك البندقية .

وتجنبت الأم ، فى هذه الحادثة ، المخاطر العادية ، ولم تنزلق إلى مسالك الفشل :

ـ اسكت يا وائل : ألا تعرف مكاناً أفضل بدلاً من التصويب على أخيك ؟ أليس لديك عقل ؟ إذا فعلت ذلك مرة ثانية ، سامع مرة ثانية ، فلن ترى البندقية ثانية !

وإذا لم يكن الطفل خَنوعاً ، فستكون استجابته لمثل هذا التحذير عبارة عن تكرار الممنوع . ولا حاجة إلى وصف المشهد الذى قد يحدث بعد ذلك . . إذ يمكن لأى أم إعادة تنظيمه من جديد .

الرشـاوى :

مغالطة «إذا ... فسوف» :

والانهزامية المشابهة هى الطريقة التى تقول بوضوح للطفل إنه إذا فعل (أو لم يفعل) أمراً مّا ، فسوف يحصل على مكافأة :

ـ إذا كنت ظريفاً مع أخيك الرضيع ، فسوف آخذك للسينما .

ـ إذا توقفت عن تبليل فراشك ، فسوف أشترى لك دراجة فى عيد ميلادك .

ـ إذا حفظت جدول الضرب ، فسوف آخذك لشاطىء البحر .

إن طريقة «إذا ـ فسوف» هذه قد تحض الطفل أحياناً على هدف فورى . لكن من النادر أن تحثه نحو جهود استمرارية . إن فحوى كلماتنا تحمل له أننا نشك فى قدرته للتغيير للأفضل .

«إذا حفظت جدول الضرب» تعنى «أننا لسنا متأكدين أنك تقدر» .

«إذا توقفت عن تبليل فراشك» تعنى «أننا لا نعتقد أنك تستطيع» .

وهناك أيضاً بعض الاعتراضات الأخلاقية على المكافآت التى تستخدم كرشوة . فتروى لنا «دوروثى باروتش» فى كتابها القيم «طرق جديدة للانضباط» عن ولد يقول :

ـ إنى أحصل على ما أريد بالإيحاء لأمى أننى سأكون سيئاً . طبعاً ، لابد أن أكون سيئاً معظم الوقت لأقنعها أنها لاتدفع بدون مقابل .

مثل هذا التفكير قد يؤدى إلى المساومة والابتزاز ، وإلى مزيد من المطالب للجوائز والمنافع الإضافية مقابل السلوك «الحسن» . ولقد تكيف بعض الآباء من قبل أطفالهم ، فلا يتجرأون على العودة إلى البيت يوم الذهاب إلى السوق بدون هدية . ويستقبلهم أطفالهم لا بتحية ترحيب ، أو «حمداً لله على السلامة» ولكن بجملة «ماذا أحضرت لى؟» .

إن المكافآت تصبح مفيدة ، وأكثر استمتاعاً عندما لايعلن عنها مسبقاً ، عندما تأتى كمفاجأة ، وعندما تعبر عن التقدير والإعجاب .

الوعـود توقعات وممارسات غير واقعية :

يجب ألا تُعقد وعود ولا أن تُطلب من الأطفال . لماذا هذا الحظر على الوعود ؟ إن علاقاتنا مع أطفالنا يجب أن تبنى على الثقة . عندما يصبح من الواجب على الأب أن يعد ليؤكد أنه يقصد ما يقوله ، فهو بذلك يعترف أن كلامه «غير الموعود به» غير جدير بالثقة . وتبنى الوعود توقعات غير واقعية . فعندما نعد طفلاً بزيارة لحديقة الحيوان ، فهو يعتبر ذلك تعهداً بأن السماء لن تمطر ، وأن السيارة لن تتعطل ، وأنه لن يمرض ، وحيث إن الحياة لاتخلو من النوائب والحوادث العارضة ، فيشعر الأطفال بأننا غررنا بهم، ويقتنعون بأن آباءهم ليسوا محل ثقة . والشكوى التى لاتفتر : «ولكنك وعدت!» تصبح مألوفة بشكل موجع بالنسبة للآباء الذين يتمنّون بعد فوات الأوان لو أنهم لم يعدوا ، كما يجب ألا نطلب أو ننتزع وعوداً من الأطفال خاصة بحسن التصرف مستقبلاً أو الكف عن سوء سلوك سابق . وعندما يبرم الطفل وعداً ليس نابعاً منه ، فهو يسحب شيكاً على بنك ليس لديه فيه حساب . ويجب ألا نشجع مثل هذه الممارسات الاحتيالية .

السخريـة :

مانع هام للتعلم :

إن الآباء الذين لديهم موهبة السخرية يشكلون خطراً بالغاً على الصحة العقلية . وعظيم البراعة ، فى التعامل مع الألفاظ منهم ، يبنى عائقه الشخصى أمام التفاهم المثمر :

ـ كم مرة يجب أن أكرر نفس الشىء ؟ هل أنت أصم ؟ لماذا لاتسمع الكلام ؟

ـ إنك وقح جداً . هل نشأت فى الأحراش ؟

ـ ماهى حكايتك ؟ هل أنت مجنون أو مجرد غبى ؟ إنى أعرف أين سيكون مصيرك !

قدلا يعى مثل هذا الأب أن تعليقاته عبارة عن هجوم يدعو إلى هجوم مضاد ، وأن تعبيراته تعوق التفاهم ؛ لأنها تحرك الأطفال فى الاستغراق والانشغال بخيالات الانتقام .

ليس هناك مكان فى تربية الطفل للسخرية المريرة والصيغ المبتذلة «الكليشيهات» الجارحة . ومن الأفضل تجنب أقوال مثل :

ـ إن لك رأساً متورماً كالبلّونة !

ـ لقد كبرت على ملابسك هذه !

ـ من تظن نفسك على أية حال !

فيجب علينا ، بأى شكل ألا نحط من وضع الطفل ومنزلته سواء أمام نفسه أو أمام زملائه .

سياسة مواجهة الكذب :

وينزعج الآباء عندما يكذب الأطفال ، خصوصاً عندما تكون الكذبة واضحة والكاذب أخرق . إنه شىء يغيظ أن تسمع الطفل يصر على أنه لم يلمس الدهان أو الشيكولاته ، والدليل ظاهر عياناً بياناً فوق قميصه ووجهه كله .

لماذا يكذب الطفل ؟

أحياناً الأطفال يكذبون لأننا لم نسمح لهم بقول الحقيقة . عندما يقول طفل لأمه إنه يكره أخاه ، فقد تضربه لقوله الحقيقة . وإذا لف ودار وساير الأمور معلناً الكذبة الواضحة بأنه حالياً يحب أخاه ، فقد تكافئه أمه بحضن أو قبلة . ماذا يستنتج الطفل من مثل هذه التجربة ؟ قد يستنتج أن الحقيقة تؤذى ، وأن عدم الأمانة يفيد والأم تكافئه . إذن فهى تحب الكذبات الصغيرة .

إذا أردنا أن نُعلِّم الأمانة ، يجب أن نعدّ أنفسنا على أن نتقبّل الحقائق المرّة كما نتقبّل الحقائق السارة . وإذا كنّا نربى الطفل على الأمانة ، فيجب ألا نشجعه على الكذب بخصوص أحاسيسه ، سواء كانت إيجابية ، أو سلبية ، أو متأرجحة . إنه من ردود أفعالنا لمشاعر الطفل التى نعبر عنها ، يتعلم الطفل إذا كانت الأمانة أفضل الخصال أم لا .

أكاذيب تنبىء بالحقائق :

عندما نعاقب الأطفال بسبب الحقيقة ، فهم يكذبون دفاعاً عن النفس . وهم يكذبون أيضاً ليعطوا لأنفسهم فى الخيال ما ينقصهم فى الحقيقة . فالأكاذيب تقول حقائق عن المخاوف والآمال . فهى تفشى مايجب الطفل أن يكونه أو أن يفعله . والأذن المميزة ، تفشى أكاذيب ما تقصد أن تخفيه . ورد الفعل الناضج لأى كذبة يجب أن يعكس تفهماً لمعناها ، بدلاً من الحكم على مضمونها بالرفض أو شجب مؤلفها وإدانته . والمعلومات المكتسبة من الكذب يمكن استخدامها فى مساعدة الطفل فى التمييز بين الواقع والتفكير المبنى على الرغبة والأمانى .

عندما يخبرنا طفل صغير أنه جاءه فيل حى كهدية فى عيد ميلاده ، فمن الأفيد أن نقول له :

ـ أنت **تود** ذلك .

بدلاً من أن نتهمه وندينه بالكذب .

ـ أنت **تود** لو كان لديك فيل !

ـ أنت **تود** أن يكون لديك حديقة حيوانات خاصة بك !

ـ أنت **تود** لو كان عندك غابة مليئة بالحيوانات !

ـ وماذا جاء لك فى عيد ميلادك ؟

كذبات نتيجة الاستفزاز :

لا داعى أن يسأل الآباء أسئلة يحتمل أن تتسبب فى كذب دفاعى . فالأطفال

يستاءون من استجواب الآباء لهم ، خصوصاً عندما يشكّون أن الإجابات معروفة من قبل . إنهم يكرهون الأسئلة التى هى فخاخ ، أسئلة تجبرهم أن يختاروا بين كذبة سمجة أو اعتراف مربك .

ثروت (سبع سنوات) ، كسر بندقيته الجديدة التى اشتراها له والده . فأصيب بالخوف ، وأخفى القطع المكسورة فى المطبخ ، وعندما عثر الأب على بقايا البندقية ، أطلق عدة أسئلة أدت إلى انفجار :

الأب : أين بندقيتك الجديدة ؟

ثروت : إنها فى مكان ما .

الأب : إننى لا أراك تلعب بها .

ثروت : أنا لا أعرف أين هى .

الأب : ابحث عنها . أريد أن أراها .

ثروت : ربما سرقها أحد .

الأب : يا كذّاب يا ملعون ! لقد كسرت البندقية ! لاتفكر أنك تستطيع أن تخدعنى . أكره شىء عندى هو الكذب يا كذّاب !

ويقوم الأب بضربه «علقة» سيتذكرها طويلاً .

إن هذه المعركة ليست ضرورية . وبدلاً من المداهنة ولعب دور البوليس السرى ودور النائب العام ، سيكون الأب أكثر نفعاً لو قال لابنه :

ـ أرى أن بندقتيك الجديدة قد كسرت .

ـ إنها لم تدم طويلاً .

ـ خسارة ، لأن ثمنها غالٍ .

فبهذا قد يتعلم الطفل بعض الدروس القيمة :

ـ إن أبى متفهِّم . وأستطيع أن أخبره بمشاكلى . لابد أن أعتنى بهداياه أكثر من ذلك .

التعامـل بالخـداع :

إن سياستنا تجاه الكذب واضحة : فمن ناحية يجب ألاّ نلعب دور المخبر السرى أو نطلب اعترافات أو نقيم قضية من قصة طويلة . ومن ناحية أخرى ، يجب ألا نتردد فى تسمية الأشياء بأسمائها بدون مواربة أو مراراة . فعندما نكتشف أن الكتاب الذى استعاره الطفل من مكتبة المدرسة قد فات موعد إعادته ، فيجب ألا نسأل :

ـ هل أعدت الكتاب إلى المكتبة ؟ هل أنت متأكد ؟ كيف هذا والكتاب لايزال على مكتبك ؟

وبدلاً من ذلك ، نقول :

ـ أرى أن الكتاب الذى استعرته قد فات موعد إعادته .

وعندما تحطرنا المدرسة أن طفلنا قد رسب فى اختبار الحساب ، فيجب ألا نسأله :

ـ هل نجحت فى امتحان الحساب ؟ هل أنت متأكد ؟ إن الكذب لن يساعدك هذه المرة ! لقد تكلمنا مع مدرّسك ، ونعرف أنك رسبت بشناعة .

وبدلاً من ذلك ، نقول لطفلنا مباشرة :

مدرس الحساب قال لنا : إنك رسبت فى الاختبار . وقلقنا عليك ، ونتساءل كيف نستطيع أن نساعدك .

باختصار ، نحن لا نستفز الطفل ونجبره على الكذب الدفاعى ، ولانتيح له الفرص للّجوء إلى الكذب . وعندما يكذب الطفل بالفعل ، فيجب ألا يكون رد فعلنا هستيريا ومتزمتاً ، بل واقعياً وحقيقياً . فنحن نريد من طفلنا أن يتعلم بأنه لا داعى أن يكذب علينا .

السرقــة :

ليس من النادر بالنسبة للأطفال الصغار أن يحضروا للبيت بأشياء لاتخصّهم . وعندما نكتشف «السرقة» ، فمن المهم تجنّب المواعظ والمواقف المسرحية . ويمكن إرشاد الطفل الصغير إلى بر الأمان بعزّة وكرامة . فنقول له بهدوء وبحزم :

ـ هذه اللعبة تخص شخصاً آخر ، أرجعها إليه .

ـ إن هذا المسدس ليس ملكك ، أعده لصاحبه .

وعندما «يسرق» الطفل الحلوى ويضعها فى جيبه ، فمن الأفضل مواجهته بشكل غير عاطفى :

ـ المصاصة التى فى جيبك الأيسر لابد أن تظل فى السوبر ماركت .

وإذا أنكر الطفل الحلوى ، نشير إليها ونكرر القول :

ـ المصاصة التى فى جيبك ملك السوبر ماركت . ضعها على الرف .

وإذا رفض ، نأخذها من جيبه قائلين :

ـ إنها تخص المحل . لابد أن تبقى هنا .

السؤال الخطأ والقول الصحيح:

عندما تتأكد أن طفلك قد سرق نقوداً من محفظتك ، فمن الأفضل ألا تسأله ، بل تقول له عن ذلك :

ـ لقد أخذت النقود ، أرجعها .

وإذا كان قد أنفق النقود ، فيجب أن نركز المناقشة على طرق التعويض بواسطة أعمال أو واجبات يقوم بها أو الخصم من المصروف .

ومن المهم تجنب تسمية الطفل بلص وكاذب أو التنبؤ بأنه سينتهى به المطاف فى سجن أبى زعبل . وليس من المفيد سؤال الطفل :

ـ لماذا فعلت ذلك ؟

وهو نفسه ، قد لايعرف الدافع ، والضغط عليه لإعطاء السبب لاينتج عنه إلاّ كذبة أخرى .

ومن الأكثر نفعاً أن تشير إلى أنك تتوقع منه أن يناقش معك احتياجه إلى المال :

ـ لقد خاب ظنى أنك لم تخبرنى أنك فى حاجة إلى جنيه !

ـ عندما تحتاج إلى نقود ، تعال وبلّغنى . وسنحلها معاً .

إذا أكل طفلك كعكاً من العلبة المحظورة ، وهناك شارب من السكر مرسوم على وجهه ، فلا تسأليه أسئلة مثل :

ـ هل يوجد أحد أخذ كعكاً من العلبة ؟

ـ هل رأيت أحداً يأخذ منها ؟ هل أكلت واحدة ؟ هل أنت متأكد ؟

مثل هذه الأسئلة عادة ما تدفع الطفل إلى اختراع الكذب . القاعدة هى أننا عندما نعرف الإجابة ، فلا نسأل السؤال . ومن الأفضل القول صراحة :

ـ يابنى ، إنك أكلت الكعك ، ولقد طلبت منك ألاّ تفعل . إنى غاضبة لخيبة ظنى فيك .

إن هذا القول فيه العقاب الكافى والمرغوب فيه . وسيجعل الطفل يشعر بالانزعاج والمسئولية ليفعل شيئاً إزاء سوء تصرفه .

تعليم الأدب : بوقاحة أم بأدب ؟

النماذج الخاصة والسلوك العام :

الأدب عبارة عن سمة شخصية ومهارة اجتماعية فى الوقت نفسه ؛ يكتسب من خلال محاكاة الآباء الذين هم أنفسهم يتحلون بالأدب . ويجب تحت كل الظروف أن يتم تعليم الأدب بالأدب . ومع ذلك ، فكثيراً ما يقوم الآباء بتعليمه بطريقة فظّة .

فعندما ينسى الطفل أن يقول «شكراً» ، يلفت الآباء انتباهه لذلك أمام الآخرين ، وهذا وضع فيه إحراج . كما يسرع الآباء بتذكير طفلهم أن يقول «مع السلامة» لضيوفهم حتى قبل أن يقوموا هم بتوديعهم .

تناول طفل فى السادسة من عمره هدية ملفوفة ، وبدافع الفضول قام بالضغط على الصندوق ؛ ليكشف عما بداخله :

الأم :

ـ محمد ، لاتفعل هذا ! إنك تتلف الهدية ! ماذا تقول عندما يعطيك أحد ما هدية؟

قال محمد بغضب :

ـ شكراً !

الأم :

ـ هكذا يكون الولد الطيب .

كان من الممكن للأم أن تعلم هذا الدرس فى الأدب بطريقة أقل فظاظة وبشكل أكثر تأثيراً . كان يمكنها أن تقول :

ـ شكراً يا خالة نعمات ، على هذه الهدية الجميلة .

ومن المتصور أن محمداً سيتبعها بشكره هو الشخصى . وإذا أخفق فى القيام بذلك، تستطيع الأم التعرض للآداب الاجتماعية فيما بعد عندما تختلى به . ويمكنها أن تقول :

ـ من ظُرف خالتك نعمات أن تفكر فيك وتقدم لك هدية .

دعنا نكتب لها ونشكرها . إنها ستفرح جداً أننا فكرنا فيها وكتبنا لها .

تعد هذه الطريقة أكثر كفاءة من التأنيب المباشر ، رغم أنها أكثر التواءً . إن دقائق فن الحياة لايمكن تعليمها بالمطرقة .

وعندما يقاطع الأطفال حديث الكبار ، عادة ما يكون رد فعل الكبار أن يقولوا فى غضب :

ـ لاتكن صفيقاً ! إنها قلة أدب أن تقاطع أحداً !

ومع ذلك ، فإن مقاطعة المُقاطع قلة أدب أيضاً . ويجب على الآباء ألا يكونوا سيِّئى الأدب فى عملية تعليم الطفل الأدب . ربما من الأفضل قول :

ـ أود أن أنهى رواية قصتى . بعد ذلك تأخذ دورك .

ولايمكن أن نخدم أى هدف بقولنا للطفل إنه صفيق ، بل على عكس ما نأمل ، سينحيه هذا بعيداً عن الأدب . والخطورة تكمن فى أنه سيقبل تقويمنا ، ويجعل ذلك جزءاً من صورته الذاتية ، وإذا اعتقد فى نفسه أنه ولد صفيق ، فسيستمر وهذه الصورة فى مخيّلته . ويصبح من الطبيعى على الولد الصفيق أن يسلك بصفاقة .

إن الزيارات لبيوت الأصدقاء أو الأقارب تتيح لنا فرصاً لإيضاح وبيان الأدب للأطفال . يجب أن تكون الزيارة سعادة للوالدين وللطفل . ويمكن تحقيق ذلك عندما يترك حمل مسئولية سلوك الطفل للطفل والمضيف . (وسوف تقتصر مساعدتنا على التعبير عن تفهّمنا لرغبات الطفل ومشاعره) .

ويعلم الأطفال أننا نعاف تأنيبهم فى بيوت الآخرين وثقتهم فى ذلك ، تجعلهم يختارون هذه الأماكن للتمرد أو السلوك بطريقة شاذة . وأفضل طريقة لإبطال هذه الاستراتيجية هى إلزام المضيف بإقرار قواعد منزله ، ويؤكد عليها ويضعها موضع التنفيذ . فعندما يقفز الطفل على الكنبة التى فى منزل الخالة ليلى ، دعى الخالة ليلى تقرر إذا كانت الكنبة للقفز أم لا ، ودعيها تضع الحدود . وغالباً ما يطيع الطفل عندما تصدر التعليمات من الغرباء . وتستطيع الأم التى تحررت من واجب الانضباط ، أن تساعد الطفل بإعادة ذكر الحدود بينها وبينه ، قائلة :

ـ هذه هى القواعد والنظم هنا ، عند الخالة ليلى .

ويمكن تطبيق هذه السياسة عندما يكون هناك اتفاق مسبق بين المضيفة والضيفة

إزاء مناطق مسئولياتها الخاصة . ومن حق المضيفة ومن مسئوليتها أن تطلب الإذعان لقواعد بيتها . ومن مسئولية الأم الزائرة أن تتخلّى مؤقتاً عن دورها فى الضبط والربط .

وبسياسة عدم التدخل الملائمة ، تساعد الأم الطفل فى إدراك واستيعاب حقيقة الموقف .

obeikandl.com

obeikandl.com